شذرات العطف والميل نحو طفل الحالات الخاصة

" التربية الخاصة وأهمية المساندة الوجدانية "

د: رمضاني حسين

جامعة ابن خلدون – تيارت –

البريد الإلكتروني: ramdanihocine200@gmail.com

تاريخ التلقي Submission date	تاريخ القبول Acceptance date	تاريخ النشر Publication date
2020-11-12	2020-12-10	2020-12-27

مقدمة:

هناك عديد من فئات البشرية، التي تكون المجتمع، والبعض منها هم أناس بحاجة ماسة الى رعاية خاصة، لأنهم يصنفون حسب ما ورد في دليل الأمراض والعلاج بالأدوية لمنظمة الصحة العالمية، ضمن خانة من لديهم بعض الحالات الخاصة. ومن هذه الفئات المصنفة تلك التي تعاني اعاقة ما، سواء أكانت بصرية أو سمعية مثلا، أو غيرها من الاعاقات الجسمانية أو العصبية النفسانية. إن عينة هذه الورقة البحثية فئة مهمة من المجتمع البشري عامة، كما أنها تمثل عينة محورية في جملة الدراسات النفسية والتربوية، لأنها من الفئات التي تحتاج لكثير من العون والمساعدة أولا على التكيف مع المحيط والمجتمع الذي تعيش فيه، وثانيا لأن العلوم الطبية بما فيها علوم النفس والطب الروحاني تحاول تحسين حالهم المزاجي قدر المستطاع.

هذه الفئة المجتمعية لها خصوصيات جمة تميزهم عن بقية أفراد المجتمع، سواء من الناحية الفيزيولوجية أو النفسية أو الاجتماعية، لهذا فهي تحتاج الى اهتمام أكثر خاصة في الجانب النفسي والاجتماعي، كالرعاية والتربية والتعليم. من هنا يبدو اهتمامنا بموضوع التربية الخاصة لدى الطفل ذو الحالة الخاصة، كقضية مستقلة بذاتها من حيث المعطيات القيمية الثابتة التي يعطيها العلم لمعاني الصحة والعقل والتوازن النفسي، وإذ نحن نقف على متطلبات البحث في هذا الموضوع منهجا ودرسا، فإننا نحاول مساءلة مبادئ هذه التربية، من خلال النظر في نظرياتها وفي وسائلها والنتائج المرجوة من الغايات. وهذه مساءلة مشروعة بالنسبة للباحث في قضايا الصحة والمجتمع، لما تسهم به هذه التربية ودورها في تقديم الخدمات التعليمية والاجتماعية والاقتصادية، لهؤلاء الأفراد الذين يصنفون في دليل الصحة الاممية ضمن خانة ذوي الاحتياجات الخاصة.

إن السؤال حول أهمية المساندة الوجدانية ينطلق من ضميمة علم النفس العام، كمقدمة صغرى تخترق منطق المفهوم السيكولوجي للأبحاث التربوية وغيرها من الاختصاصات العلمية الموجهة في هذا الميدان، ولعل الأسئلة المطروحة في سياق هذه القضية تجبرنا على عدم التحيز في اطلاق أحكام مسبقة ضمن حدوده القيمية التي تؤديها معاني التربية ودلالة السلوك التربوي. كما يغدو الفكر مشدودا الى وظيفة العلم في ميدان التربية الخاصة، يحاول الوقوف على مستقبل التربية النفسية ومكوناتها الأخلاقية التي يجب أن تساير ذلك التطور الهائل لوسائل العلم، ونتائجه الباهرة في توجيه قدرات الانسان ذو الحلات الخاصة، نحو الفاعلية والابداع والإختراع الاهتمام، ويمكن استحضار شخصية ستيفن هوكينس كمثال حي على القدرة الفكرية والعلمية التي عبر عنها ستيفن (Stephen Hawking) (1942 – 2018) بفضل وسائل وتقنيات العلم المعاصر رغم حالته الخاصة.

ولعل مشكلة رعاية أطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، تعتبر من أهم مرتكزات بناء الهوية الاجتماعية لدى الفرد كتدعيم أولي للنمو الطبيعي للطفل، أياً كانت حالته الصحية أو النفسية أو الذهنية. فكيف يمكن تفعيل دور المساندة الوجدانية لذوي الحاجات الخاصة؟ وهل تتوقف هذه المساندة على تلبية الحاجات العاطفية وفقط، حتى

نحقق تربية رصينة لهذه الفئة الهشة حسب التصور الطب نفساني؟ هل بالامكان توفير مجال نوعي للبلوغ بهذه الفئة في المستقبل الى مستوى راق من تحقيق المقروئية في المكتبات العمومية ؟.

العرض:

في الحقيقة هذه الأسئلة تنجر عنها تساؤلات أخرى محايثة لها، تعترض مسار البحث في طبيعة هذه المساندة الوجدانية، ذلك أنها ترتبط بشكل عضوي بالأوضاع النفسية والاجتماعية، أو الاقتصادية والمعرفية التي تعيشها هذه الفئة من الاطفال. رغم أن ثمة هناك ما يمكن قوله بخصوص الجهود المبذولة من طرف الدولة ككل والجهات الوصية خاصة، من ال تحسين نمط الرعاية الخاصة، إذ لا تزال الجهود متواصلة من أجل توفير ما يمكن توفيره من وسائل واجراءات لتحقيق نمو متوازن على الاقل لمثل هكذا فئات. غير أن هذه الجهود فيما يبدو للمختصين تبقى تحت مستوى المأمول، إذا ما نظرنا لطبيعة الحاجيات اللازمة المطلوبة بشأن حماية ورعاية الطفل ذو الحاجة.

إن هذه الفئة الاجتماعية المتميزة عن غيرها في عدة مناحي، والتي هي في الحقيقة مرآة عاكسة للوعي بروح المسؤولية الإنسانية قبل كل شيء لدى مختلف فئات المجتمع الصحي إن صح التعبير، هي تعبير واضح وصريح عن مدى وعينا ككائنات أخلاقية، أو كذوات إنسانية يصدق عليها قول إنيَّات ذات محمولات مستغرقة لمعنى الحياة والانسانية. وباعتبار ان ما يبدو لنا في الظاهر صحيحا وأن دون ذلك ليس هو كذلك، إذ نتوهم في انفسنا بأننا نتمتع بخاصية الصحة دون هؤلاء الذين هم حسب ظننا المعتلين. غير ان الحقيقة المرّة تشير الى أننا نحن أيضا جزءٌ من فئة كبيرة تعاني هي الاخرى من اعاقات مستديمة لكنها أعاقات تمس جانب كبيرا من وعينا بالذات الانسانية. ونحن لا نزال نحتاج الى اهتمام أكبر، ورعاية مكثفة حتى نندمج في الحضارة بشكل تام، وبوعينا الحاضر بشكل فعال.

لذا نود في البداية أن نقوم بتعريف وجيز لإنسان الطفل من منظورات مختلفة كاللغة وعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة، حتى يتسنى لنا التعرف على جملة العوامل والشروط، التي ينبغي أن تتوفر لدى المعلم المتخصص في هذا مجال تربية وتعليم ذوي حالات الخاصة، ثم بحث في شروط عملية تكوين هذا المعلم المتخصص، والمتعلم غير قادر في ناحية من النواحي * جسمية، أو الطب نفسية. وبالتالي الوقوف على جملة المقومات التي يمكن من خلالها بحث تداعيات المساندة الوجدانية لأطفال ذوي الحالات الخاصة.

الأسرة:

تعد الأسرة البناء الاجتماعي الذي يتكون من الأب والأم والأطفال، كما أنها تعد من أهم العوامل المكونة لشخصية الطفل التي لها تأثير مباشر فيها، حيث تعد المحيط المباشر الذي يعيش فيه الطفل. يعرفها ابراهيم ناصر في مؤلفه: " مجموعة من الأشخاص يرتبطون معا بروابط الزواج أو الدم أو التبني، ويعيشون تحت سقف واحد، ويتفاعلون معا، ويتقاسمون الحياة الاجتماعية كل مع الآخر، ولكل أفرادها: الزوج والزوجة، الأم والابن والبنت دورا اجتماعيا خاصا به، ولهم ثقافتهم المشتركة. أو هي الجماعة التنظيمية المكلفة بواجب استقرار وتطور المجتمع ".

(ابراهيم ناصر، 1966، ص 43)

لذا فإن المناخ العائلي، والعلاقات التي تربط بين الأفراد الاسرة، من أهم العوامل التي تؤثر في عمليات النمو النفسي والاجتماعي للطفل. حيث إن الاسرة التي تتوافر فيها عوامل الحب والمودة والعطاء والاستقرار النفسي تعد عوامل ضرورية لتوفير مشاعر الأمن للطفل، ولتوفير عوامل النمو الانفعالي السوي له. (رشوان حسين، دس، ص 81)

ورغم أن الأسرة أو العائلة لها عدة تعاريف مختلفة بحسب الاتجاهات والنظريات المختصة في ميدان علم الاجتماع الاسري أو علم النفس الاجتماعي، الا أنها تلعب دورا مهما و أساسيا في تكوين النشء، وتنمية قواه المختلفة من خلال وظائفها المتعددة، وذلك رغم التطور التكنولوجي ممثلا في الوسائل السمعية البصرية، وأهمها الانترنت، وما تمثله من خطر يهدد النشء الصغار (لعبة الحوت الأزرق)، بل حتى الكبار، والغزو الثقافي المصاحب لخطر العولمة

الزاحف، وما تنطوي عليه من نوايا تهدد ثقافة المجتمع وقيمه ومعتقداته وكيانه. حيث: " تعتبر الاسرة من أهم عوامل التنشئة الاجتماعية للطفل، وهي الممثلة الأولى للثقافة، والمدرسة الاجتماعية الأولى للطفل، والعامل الاول في صبغ سلوك الطفل بصبغة اجتماعية ". (عبد الرحمن المعايضة، 2007، ص 72)

منطلقنا الاساسي في هذا السياق هو أن العائلة كمؤسسة اجتماعية هي الوسيط الرئيسي بين شخصية الفرد والحضارة الاجتماعية التي تنتمي إليها، وأن شخصية الفرد تتكون ضمن العائلة، وأن قيم المجتمع وأنماط السلوك فيه تنتقل الى حد كبير من خلال العائلة وتتقوى بواسطتها. أما عن الاشكال الاسرية السائدة في مجتمعاتنا، فأغلبها تبرز بشكل كبير أن المجتمع العربي يتميز العائلة فيه بكونها عائلة ممتدة، وهي العائلة التي لا تسكن في بيت واحد، وهي تتميز بأنماط أساسية للروابط العشائرية في تنظيم العائلة وعلاقاتها، وأن وضع الأب يبقى أساسيا فيها.

وهنا يشير المفكر هشام شرابي الى ان هذه العائلة الممتدة تفتقد في كثير من الاحيان الى عاطفة الحب، إذ لا تشكل هذه الأخيرة لحمة العائلة، ولا توجد في اطارها تعبيرات واضحة عنه، ما خلا بعض العواطف الحارة التي تبديها النساء اتجاه الصبي، حتى لو كان الاب لطيفا وحنونا فهو يبقى بعيدا عن متناول أطفاله لما يبديه من ابتعاد وتعال، ولذلك فإن الطفل عامة في معظم العائلات ينمو ويشعر على درجات متفاوتة، بأنه مكبوت ومظلوم وتعس.

(هشام شرابي، 1984، ص 35 36)

الطفل لغتا:

البَنانُ الرَّخصُ، المحكمُ: الطِّفلُ، بالفتح الرَّخصُ الناعم، والجمع طفال، وطفولٌ. وقال ابن منظور في موضع آخر الطفل والطفلة : الصغيران، والطفل: الصغير من كل شيء بين الطفل والطفالة والطفولة والطفولي. قال ابو الهيثم: الصبي يدعى طفلا حين يسقط من بطن أمه الى ان يحتلم، وفي حديث الاستسقاء: وقد شغلت أم الصبي عن الطفل: أي شغلت بنفسها عن ولدها بما هي فيه من الجدب؛ ومنه قوله تعالى: تذهل كل مرضعة عماً أرضعت، وقولهم: وقع فلان في أمرٍ لا ينادى وليده

اصطلاحا: تشير الدكتورة منيرة آلا سعود عبد الرحمن بن عبد الله في دراستها الموسومة بـ: (إيذاء الأطفال) الى مفهوم الطفولة حسب رأي روبرت باركر (Barker, Robert)، بأن مرحلة الطفولة هي المرحلة المبكرة في دورة حياة الانسان، والتي تتميز بنمو جسمي سريع للطفل، وسعي لتشكيل الاطفال لإعدادهم لأدوار البالغين ومسئولياتهم، من خلال وسائل اللعب والتعليم الرسمي غالبا. (منيرة آل سعود، 2005، ص 42)

وليس هذا فحسب بل إن حياة الانسان في هذه المرحلة تكون بكليتها خاضعة لمعطيات الاستجابة الكلية، والحاجة المطلقة الى الآخرين المحيطين به، بمعنى أن الطفل يكون مستجيبا كليا لعمليات التفاعل الاجتماعي من حوله، وبالتالي فهذه المرحلة هي التي تحدد مستوى تكامله مع المجتمع على حد تعبير الدكتور محمد عبد الخالق عفيفي رغم اختلاف علماء النفس حول تحديد هذه المرحلة المهمة في حياة الانسان، حيث يقول في دراسته: (الاسرة والطفولة بين النظرية والتطبيق) " الطفل في هذه المرحلة هو المستجيب لعمليات التفاعل الاجتماعي من حوله، ... وبالتالي هذه المرحلة هي التي تحدد مستوى تكامله مع المجتمع على المستوى الثقافي والاجتماعي والوظيفي والمعياري والشخصي ". (عفيفي عبد الخالق، 1993، 290)

وأما مصطلح الاطفال ذوي الاحتياجات الخاصة فيشير الى الأطفال غير العاديين الى تلك الفئة من الأطفال الذين ينحرفون انحرافا ملحوظا عن المتوسط العام للأفراد العاديين في الفئة من الاطفال الذين ينحرفون انحرافا ملحوظا عن المتوسط العام للأفراد العاديين في نموهم العقلي والحسي والانفعالي والحركي واللغوي مما يستدعي اهتماما خاصا من المربين بهذه الفئة من حيث طرائق تشخيصهم ودفع البرامج التربوية لاختيار طرائق التدريس الملائمة لهم.

(نوري القمش، 2007، ص 17)

غير أن العائلة العربية توجه الفرد منذ طفولته نحو الاشخاص أكثر مما توجهه نحو الاشياء، فأول تدريب يتلقاه الطفل هو فن المعاشرة: (قل مرحبا لعمو)، (قل مع السلامة لجدو). وهكذا فإن الطفل ينمو ويكبر دون أن يجد نفسه مستقلا في أي وقت من الأوقات، لأنه دائما محاط بالأشخاص لا بالأشياء، فبمجرد استقاظه من النوم يجد من يتسلمه ويأتي به ليجتمع بالأخرين، وبالتالي تستولي الأسرة على حياته الخاصة منذ ذلك الحين. وبالتالي يصبح واعيا بذاته بفرض منطق كونه فردا من المجتمع لا غير.

الى هنا يمكن أن نطرح عدة تصورات تخص طبيعة المساندة الوجدانية، ونوجه تحليلنا نحو العينية التي نخصها بالحديث في هذا السياق، فالأطفال على العموم كلهم محتاجون في تربيتهم وتعليمهم الى نمط معين من المساندة الوجدانية، بما فيها الفئة التي نخصها بالذكر على من ذوي الحالات الخاصة والتي تشكل واقعا أليما بالنسبة لمجتمعاتنا العربية، التي تنشد مستويات عالية من التوازن الصحي والاجتماعي بين أوساطها الفئوية. ولعلنا نحاول تصويب هذا الحكم القيمي ميدانيا فنقول: نحن من يحتاج الى مساندة وجدانية لتحقيق المستوى المطلوب لمثل هذه الفئات اليافعة، وحتى نكون صورة مكتملة حول واجبنا نحو هذه الفئة التي نحن في حاجة ماسة الها لتعلمنا هي من خلال وجودها من خلال ارتباط هذا الوجود بحقيقتنا، ولو النزر القليل أهمية احترام الحياة ككل ومسؤولية المواجهة التي تقتضيها الاخلاق الانسانية لوجود الانسان العام.

لأن تعبيرات مثل تلك التي ننعت بها هذه الفئة هي في الحقيقة ليست الا تعبيرا معلنا عن ما يختلجنا اتجاه جميع أطفالنا الذين نحسب أنهم في كامل عافيتهم الصحية الجسمية والنفسية، على هذا الاساس وفقط يمكن اعتبار ذواتنا العاقلة محتاجة فعلا الى اعادة ترتيب تصوراتنا المهمة حول حالة الانسانية فينا. ومن تلك الترتيبات اعادة صياغة مفهوم التربية كمصطلح محوري في عمليات المساندة الوجدانية. ومن هنا يمكن اعتبار التربية أساس بناء الفرد داخل الاسرة والمجتمع والذي نضطلع الى تنشأته تنشأة متوازنة من جميع النواحي النفسية والمعنوية والمادية.

1- التربية وفلسفة التربية:

أ- التربية:

يشير برتراند رسل (Bertrand Russell) (1872 – 1970) في فحوى فلسفته التربوية الى إلى أهمية التربية المبكرة. ويشدد على أهمية دور الوالدين في ذلك. يبدأ تكوين صفات الطفل بعد الولادة. إن دور الوالدين كمعلمين في السنوات الأولى من حياة الطفل له أهمية قصوى. هذا هو الأساس والخطوة الأولى للتعليم من أجل السعادة. والتربية في اصطلاح العلماء والمختصين هي لك العمل الذي يهدف الى نقل المعرفة، والى تنمية القدرات وتدريب وتحسين الأداء الانساني في كافة المجالات وخلال حياة الانسان كلها. وموضوع التربية ها هو محور اشكالية فلسفية تقوم تصوراتها على قضايا الحياة، والتربية في حقيقة الامر هي الوسيلة التي نراهن علها لترجمة فلسفة عملية تلامس الحياة الانسانية بكل تفاصيلها. **(محمد حلوب، 1999، ص 26-29).**

أما فلسفة التربية وتطبيقاتها فهي فلسفة تسعى الى فهم التربية في مجموعها، وتفسيرها بمفاهيم عامة، بهدف تحديد الغايات التربوية وترشيد سياساتها وكذلك تفسير المكتشفات العلمية وفق علاقتها بالتربية. ومن هنا يمكن اعتبار هذه الفلسفة تطبيقا للفلسفة النظرية على مجال الوظيفة التربوية، وقد ذهب جون ديوي (John Dewey) (1859 - 1952) الى القول أنه يمكن وصف الفلسفة بأنها النظرية العامة للتربية. وقد سبق لنا ان أشرنا الى هذا التصور البراغماتي عند اعتبر الفيلسوف الامريكي " الفلسفة بمثابة النظرية العامة للتربية، وأن التربية هي المعمل الذي تختبر فيه الافكار الفلسفية " **(رمضاني حسين، 2011، ص 327).**

وفي سياق ذاته تعبر هذه التصورات عن أهمية التربية الوجدانية في الفلسفة العملية، بوصفها عملية تنشئة وإعداد وإكساب المهارات والقيم، فالتربية حسب ما تذكر الدكتورة مدور يمينة، وزميلتها الاستاذة بن شوقي بشرى: "

التربية عملية غايتها مساعدة الطفل على التكيف مع البيئة التي يعيش فيها، والتفاعل معها، وتربية من النواحي العقلية والخلقية والجسدية والعاطفية كلها، فالتربية الوجدانية للطفل تعني العملية التي يقوم من خلالها بنقل القيم والمبادئ الأخلاقية الى افراده على نحو فعال " (مدور يمينة، 2019، ص 140).

وتتحدد مجالات التربية الوجدانية حسب الدراسة التي قامت بها كلا الاستاذتين، في ثلاثة مجالات أساسية حسب ما تشير اليه الدراسة الموسومة بـ : (تحديات التربية الوجدانية في العصر الرقمي من وجهة نظر بعض أعضاء هيئة التدريس بكليات التربية، بجامعة المنوفية) للاستاذ محمود فوزي احمد بدوي في مجال: العاطفة، الانفعال، الضمير. ويمكن الرجوع الى هه الدراسة لتوسيع مجال البحث في هذه المجالات الثلاثة من نظرية التربية والقضايا الفلسفية المتعلقة بادراك العالم الخارجي.

إذن التربية عملية اجتماعية بالدرجة الاولى، خاضعة للقوى الثقافية المؤثرة فيه بالإضافة الى القيم الروحية، كما أنها تعني التنمية. ولهذا تجد التربية لا تمارس في فراغ بل تطبق على حقائق في مجتمع معين، حيث تبدأ مع بداية حياة الانسان في هذا المجتمع، ومن ثم فإن أي تربية تعبر عن وجهة اجتماعية. وبمعنى آخر فإن المجتمع هو الذي يحتوي التربية في داخله. وداخل هذه التربية ذاتها ينطوي التعليم على معطى وجداني هام، وهو الذي يدفعنا الى الاهتمام بالجوانب النفسية الى جانب الجوانب العضوية، كحاجة الطفل الى الحب، لأن كلا النوعين من الحاجات لابد من اشباعها حتى يشعر الفرد منا بالتوازن، ذلك أن عدم إشباعها يجعلنا نشعر بفقدان التوازن أو اختلالها.

- **في مفهوم التربية الخاصة:**

يشير مجموعة من المؤلفين الذين اسهموا في ابراز أهم أساسيات التربية الخاصة لدى الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، الى أن التربية الخاصة تعرف بكونها جملة من الاساليب التعليمية الفردية المنظمة، التي تتضمن وضعا تعليميا خاصا، ومواد ومعدات خاصة أو مكيفة وطرائق تربوية خاصة، وإجراءات علاجية تهدف الى مساعدة هذه الفئة من الأطفال في تحقيق الحد الاقصى المكن من الكفاية الذاتية. مع ضمان الهدف الاسمى والمتمثل في تمكين هؤلاء الأطفال في المستقبل من المشاركة في فعاليات مجتمعهم الكبير، وأن يكونوا أهلا للاحترام والتقدير، وأن يكون لهم الحق قبل كل شيء في النمو والتعلم. (الخطيب جمال، 1998، ص 23)

كما يضيف الدكتور زياد كامل من جامعة القصيم السعودية، أن المفكران: (هلاهان وكوفمان) (Hallahan – Kauffman)، أن التربية الخاصة هي ذلك النوع من التعليم الذي يتم تصميمه خصيصا، لإشباع تلك الحاجات غير العادية لطفل يعرف بأنه غير عادي أو لديه استثناء معين فردي أو مزدوج (تعدد إعاقة). (Hallahan ,2006, P 117)
وقد تطرق الباحثان الى وصف ذوي الصعوبات التعلم بقولهم " أن الطفل الذي يعاني من صعوبات في التعلم هو ببساطة ذلك الذي لا يستطيع أن يصل الى كامل إمكانياته الكامنة. من الممكن أن يكون هذا الطفل في أي مستوى من مستويات الذكاء. غير أن دراسة تشير الى أن هذا التعريف يحيط به نوع من الغموض، حيث أنه لم يكن قاطعا في تحديده لفئة ذوي صعوبات التعلم، خاصة بالنسبة لمستوى الذكاء والمشكلات الانفعالية.

(مراكب مفيدة، 2010، ص 22)

أما بالنسبة لأهداف هذه التربية، فتتمثل في الهدف الوقائي الذي يشمل نشر الوعي بمختلف أشكاله للحد من أسباب الاعاقة. من خلال إزالة العوائق أو العوامل التي تسبب حدوث الاصابة بالخلل، والمساعدة على تقليل الآثار السلبية للإعاقة، بالإضافة إلى استخدام وسائل التشخيص الجيدة. وهناك هدف علاجي ويمكن في تأهيل الأفراد ذوي الحاجات الخاصة واستغلال امكانياته وقدراته الى أقصى قدر ممكن. الى جانب ذلك هناك أهداف أخرى، منها: الوظيفية والاجتماعية والتعليمية، وفي الأخير هناك هدف إنساني ديموقراطي، يتمثل في تكافؤ الفرص لجميع أفراد المجتمع بما فيهم هذه الفئة الخاصة. **(زياد كامل، 2007، ص 25 – 26)**

ب- حاجات الطفل ذو الحالة الخاصة:

في المنظور الاسلامي يظل الحب العنصر الرئيس الذي يطبع علاقة الانسان مع الآخرين، لأن سلخ الحب من الشخصية البشرية يعني سلخها من دلالة الانسان، ولذلك حرصت النصوص الاسلامية بأكملها حائمة على المبدأ المذكور، ولعل أبرز ما تؤكده النصوص الاسلامية في هذا الصدد هو مطالبة الانسان بإخبار أخيه عن حبه: حيث أن الاعلان عنه لفظيا على حد تعبير يسهم في تمتين العلاقة بين الطرفين، كما أن مطالبة النصوص الاسلامية بالتزاور والمساعدة، تعد أنماطا اجتماعية مفحصة عن الحب المذكور. **(محمد البستاني، 1994، ص 131)**

تعتبر الحاجة الى الحب من أهم الحاجات الضرورية اللازمة لبناء شخصية الانسان بصورة سوية، وتتكون هذه الحاجة من عنصرين يصعب بثهما وهي الرغبة في الود مع الآخرين، وكذلك الرغبة في الحصول على المساعدة وحماية وتدعيم شخص آخر أو جماعة أخرى وترتبط بهذه الحاجة (الحب) حاجة الطفل الى الشعور بالأمان وبالتالي فإن هناك أشياء كثيرة يمكن للآباء والمربين تدعيم تلك الحاجة لدى الاطفال ومن اهمها:

- تقبل مشاعر الاطفال.
- يجب ان يتصف الآباء بتقبل سلوكيات أطفالهم.
- يجب أن يشعر الاطفال ذوو الاحتياجات الخاصة بحب الآخرين لهم.
- عدم التكلف من مصاحبات الحب والحنان.
- مراعاة الظروف الخاصة والاجتماعية للأطفال وكذلك ظروفهم الاجتماعية.
- يجب على الاباء والمربين إلا يضيفوا الى ما لدى الطفل المعاق، الشعور بمزيد من المآسي بل يجب معاملته بصورة متساوية مع ذويه وتعويده بقدر الامكان الاعتماد على نفسه والاستقلال التدريجي عن الآخرين.

(زياد كامل، 2007، ص 49 – 50)

إذن بين اضطرابات الطفولة ومشكلات الطفل، نطرح مجددا السؤال الجوهري ما العلاج السلوكي؟ الذي يجب أن نعتمد عليه، للإجابة عن كل ما تعانيه الطفولة في مجتمعنا المعاصر. لعله العلاج السلوكي الموجه من ناحية ما نشهده من تطور. **(عبد الستار ابراهيم، 1978، ص 38)**. ولربما نقصد به ذلك العلاج المتعدد المحاور. فلقد تناول بجد علماء النفس الحديث مختلف الأسس النظرية للعلاج السلوكي ذو الأوجه المتعددة، كالتعلم الشرطي الذي يقتضي التركيز على نوعية التعلم التي تقوم على اساس نظرية المنبه/ الاستجابة، وهي تتخذ من نظريات (بافلوف) على سبيل المثال لا الحصر الدعامة الأساسية لكل ما تحويه من قواعد وقوانين. أو بالتعلم الفعّال أو ما يسمى بـ: (الاجرائي) وهو نوع من التعلم وضع قواعد منهجه العالم الامريكي سكينر (Skinner) والذي يقوم حسب بعض المفكرين النفسانيين العرب على غرار الدكتور رضوان ابراهيم وآخرون على قاعدة موجهة مؤداها أن السلوك هو حصيلة ما يؤدي له من نتائج وآثار (معاينة ظروف تدعيم السلوك لدى الطفل، إيجابية المكافئة مهما كان سلوك الطفل، تجاوز المعطى القيمي للعقاب في حالة حدوثه قصديا أو عفويا).

(عبد الستار ابراهيم، 1978، ص 43 – 45)

وهناك أيضا انواع أخرى من التعليم الخاص، كالتعلم المعرفي والتعلم الاجتماعي لكل من النفسانيين (بيك لانغرم، وسكوت وميشيل) (Beck Lngram, Scott, Miscechel 1973 -1990)، والذي يقوم على أساس أربعة أبعاد معرفية تنطوي على الكفاءة في مقابل القصور المعرفي لدى الاطفال ذوي الحاجات الخاصة، ومفهوم الذات المعتقدة بقلة الكفاءة (كاعتقاد الطفل بأنه غير محبوب أو غير مرغوب فيه، أو عدم الجاذبية وما شابه ذلك ...). والبعد الآخر وهو على درجة مهمة من الاهتمام وهو شعور الطفل بقيمة التفاعل الاجتماعي الذي هو اهم عند الطفل من النجاح

العلمي والاكاديمي في حياته. فالطفل حسب هذا البعد بحاجة الى اهتمام أقرانه به أكثر من شيء آخر، والا فإن عدم الاهتمام سيكون سببا فاعلا في انطوائه، وبالتالي في انغلاق معطى الانفراج المرجو من البعدين الأوليان.

ولنا في التحليل المقدم في الدراسة المقدمة في الفصل الرابع من مجلة علم الفكر العدد (180) تفصيل بياني حول هذه المسألة. **(عبد الستار ابراهيم، 1978، ص 47 - 49)**. أما التعلم الاجتماعي فقد أبرز لنا فيه العالم النفساني باندورا (Bandura 1969) مدى تطور الدراسات النفسية في مجال حركة العلاج السلوكي للطفل خاصة الاطفال الذين يتميزون بالسلوكيات العدوانية، إذ تبين لنا دراسته أنه يجب أن لا تتم دراسة هذه السلوكيات بمعزل عن المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه الطفل، وقد سبق لنا الذكر أن البنية الاجتماعية للمجتمع العربي، وما أشرنا اليه فيما يخص العائلة الممتدة، قد يلعب دورا أساسيا في تكوين قيم وجدانيا خاصة لدى الطفل. وبالتالي فالطفل بحاجة الى رعاية ومساندة ليس فقط في مركز الرعاية وإنما كذلك في الأسرة والمجتمع أيضا، فالكل له دوره وواجبه المناط بتقديمه لهذا الطفل في عملية التربية و التعليم والتكوين تبعا.

(عبد الستار ابراهيم، 1978، ص 48 - 50).

هذه رؤية علماء النفس السلوكيين في مسألة التعلم متعدد المحاور لدى الاطفال، على مختلف حالاتهم الصحية الجسمية والنفسية. وكذا نظرتهم لمختلف جوانب التربية الخاصة، وربط هذه الجوانب النفسية لدى الطفل بجملة تدريبات المؤسسة المتكفلة على مختلف المهارات الاجتماعية الممكن اكتسابها، وكذا كيفيات المساعدة على تعديل أخطاء التفكير لدى أطفال ذوي الحاجات الخاصة، خصوصا الذين لا يعانون من تخلف ذهني حاد، وذلك من خلال ابراز تفعيل أليات المساند الوجدانية بواسطة التعليم المؤسس سبقا على عواطف الحب والميل.

- **معوقات فن المعاشرة عند المربين:**

إن التدريب على فن المعاشرة لدى الطفل هو في الواقع تدريب على المسايرة، والمسايرة تعني ها هنا حرفيا أن يسير المرء مع الآخر ويرافقه ويتلائم معه. وهي من حيث فن تسوية وجدانية كمعطى ايجابي في مساندة الطفل وجدانيا ذات وظيفة اجتماعية تؤدي من جهة الى تخفيض توتر التفاعل الاجتماعي، ومن جهة أخرى الى تقوية حب المعاشرة. وفي كل ذلك يمكن اعتبارها ذات فعالية في تكوين شخصية الطفل، الا أن الجانب الخفي منها يشير الى أثارها السلبية جمة إذ أن المسايرة تنم عن عراقيل هائلة في طريق العمل والتنفيذ على حد تعبير هشام شرابي: " حيث يتعذر التعبير عن الخلافات أو حلها عند لقاء الناس وجها لوجه، وبحيث أن المعارضة المكبوتة تستمر في الغليان، فتصبح القضايا مرهونة بالأشخاص أنفسهم، وهكذا فإن التمييز، في الحياة العامة بين الناس وأفكارهم يبقى تمييزا مستحيلا ". **(هشام شرابي، ، ص 52)**

لقد نبهنا الفيلسوف برتراند رسل في مؤلفه الشهير (في التربية) الى أهمية عامل المحبة والعطف، رغم أنه تطرق الى هذه المسألة الحيوية في الجزء الحادي عشر من مؤلفه. حيث يقول: " اني اعتقد أن الحب والمعرفة هما الأساسان اللازمان لحسن التصرف، ومع ذلك ففيما كتبت عن التربية الخلقية لم اقل الى الآن شيئا عن الحب، وسبب ذلك عندي أن النوع الصالح من الحب ينبغي أن يكون الثمرة الطبيعية للمعاملة المناسبة للطفل في نموه، لا أن يكون شيئا نرمي اليه ونقصده خلال جميع مراحل النمو المختلفة ". **(برتراند رسل، دس، ص 123)**

لكن لابد من وضع ملحوظة مهمة في هذا السياق، قبل أن نحدد دور الحب والعطف في المساندة الوجدانية لدى الأطفال عامة ولدى ذوي الحالات الخاصة كذلك. وتتمثل هذه الملحوظة في كون أن التعامل الطفل نع أشخاص من خارج العائلة سواء في المجال التربوي أو غيره، هو تعامل مع الغرباء، ولذلك فإن سوء الظن الذي يتعلمه في محيط العائلة يصبح قاعدة لتعامله في المجتمع، وذلك مع شيء من المبالغة، وهكذا فإن الفجوة القائمة بين العائلة

والمجتمع تزداد سوءا. وبالتالي تحكم العائلة القبضة عليه لأنه ينكفئ اليها كلما شعر بعدم الاطمئنان خارجها، وهكذا ينسحق استقلاله مع مرور الوقت، وتخبو كل مؤشرات تنمية وعيه الاجتماعي ونضوجه النفسي في المستقبل.

(هشام شرابي، ، ص 56)

على هذا الاساس يقدم لنا رسل أطروحته حول ضرورة ربط التربية لدى الاطفال بدواعي العاطفة الجياشة المليئة بالمحبة والعطف، وهو مع ذلك يفرق بينهما في سياق دراماتيكي واضح، فالمحبة على حد تعبيره تختلف عن العطف بكونها في صميمها تخصيصية حتما.(**برتراند رسل، دس، ص 144**) يبين دوافع كل منهما في بناء شخصية الطفل. الا أنه في الأخير يقر إقرار بأن المحبة لا يمكن أن تخلق ولكن يمكن أن تطلق، وبالتالي فالنزوع الى الثقة والمحبة يبرر نفسه لأنه يكسب صاحبه سحرا لا سبيل الى مقاومته، ويخلق ممن حوله ما ينتظر من استجابة لعواطفه، وهذه نتيجة من أهم النتائج التي نتوقعها من التربية الخلقية الصحيحة القويمة.

(برتراند رسل، دس، ص 144 - 145)

إن القدرة على الحب والتعقل لدى الطفل هي اختراق الجدار الذي يفصله عن الآخر، لكن يبقيه متصلا به، وفاهما له، لأن كلا القدرتين شكلان مختلفان لفهم العالم، رغم انهما ينطويان على الاهتمام والمسؤولية اللذان يكونا معنى احترام الحياة لدى الفرد، فكلمة الاحترام في الانجليزية (respect) تدل وفقا لجذرها (respicere: ينظر إلى) على القدرة على رؤية الشخص كما هو، وعلى إدراك فرديته وفرادته. ولا يكون الاحترام الشخص ممكنا من دون معرفيته؛ ومن شأن الاهتمام والمسؤولية أن يكونا أعميين إذا لم ترشدهما معرفة فردية الشخص.

(ايريك فروم، 2007، ص 134)

إن دور المساندة الوجدانية لطفل ذوي الحاجات الخاصة، يهدف إلى تبني فلسفة تعليمية ذات بعد سيكولوجي. في مقابل تلك المناهج التربوية التسلطية، (التي ترى أن التعليم التقليدي لا يزال قادر على تحقيق الأهداف التعليمية والتربوية لهذا الطفل في إطار التلقين). وبعبارة أخرى فإن مثل هذا التعليم التقليدي الموجه نحو هذه الفئة، يفتقد بالدرجة الأولى الى خصائص سيكولوجية جمة، تتعلق مباشرة بتكوين علاقات ذات صلات وجدانية قوية؛ بطفل ذوي الحاجات الخاصة. ومن منظورنا الاجتماعي والثقافي الراهن، فإن منهاج التعليم للأطفال ذوي الوضعيات الخاصة، يبدوا منذ الوهلة الأولى عاجزا عن احتواء مشكلات هذا الطفل النفسية والاجتماعية على حد سواء. خاصة في ظل عولمة التعليم وفي ظل سيطرة التقنية على تحديد أهدافنا التربوية لأجيال المستقبل.

خاتمة:

إن العلم المعاصر أقدر من حيث التقنية أن يساعد على تحقيق المبادئ الكلية للقيم الانسانية، المتعلقة بالتعليم حق الجميع وفيه تتساوى الفرص، وله مقام عال في باب التمتع بحقوق الإنسان، ومنزله من منزلة القدرة على المشاركة في حياة المجتمع، والعيش فيه في ظل عدالة اجتماعية. لقد ساعدت هذه التقنيات أشخاص ذوي الحاجات الخاصة على اكتساب مهارات كانت تعد فيما مضى غير قابلة للتحقيق. فإذا كان تعليم طفل ذوي الحاجات الخاصة، مثله في ذلك مثل التلقين المدرسي العادي (البرامج / الأهداف) والذي يبدأ بتحديد المشكلة المعرفية للطفل عامة، تحديدا نوعيا يرسم من خلاله أهداف تعليمية عامة؛ يستخدم فيها كثيرا من الأساليب الشائعة ديماغوجيا. فإننا أمام تحديات كبرى تعترض المجال التربوي والتعليمي لهذه الفئة، والتي تبدوا اجرائيا كمشكلات سيكولوجية وظيفية تقف دون الحيلولة الى تحقيق المبتغى من عمليات الادماج الأولى للفرد داخل الاسرة والمجتمع.

في الاخير يمكن القول بأن المساندة الوجدانية تقوم على اساس الاهتمام أفراد هذه الفئة فردا فردا، ونحن لا نلزم المؤسسة التعليمية أو التكوينية المختصة ان تخصص برنامجا لكل طفل، بقدر ما نحاول أن ندعو الى الاهتمام بكل طفل من ذوي الحاجات الخاصة على حدى. بحيث يكون البرنامج التربوي الفردي عبارة عن عقد غير إلزامي

يتحمل فيه المعلم المختص أو الطفل أي مسؤولية عن فشل البرنامج. وإنما تكون هذه الاخيرة عبارة عن عملية تنظيمية مدروسة الغايات، نحتكم فيها الى نتائج الاداء الخاص بالمعلم والمتعلم، وفق أهداف قصيرة المدى وبعيدة المدى في الوقت نفسه.

قائمة المصادر والمراجع:

- مصطفى الخشاب، علم الاجتماع العائلي، دار القومية للطباعة والنشر، دط، 1966، القاهرة، مصر.
- Hallahan, D, Kauffman,J : Exceptional Children . Introuction to Special Education,2006 , Englewood Cliffs, New Jersey, P 117.
- الخطيب جمال والحديدي منى، التدخل المبكر (مقدمة في التربية الخاصة في الطفولة المبكرة)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998، عمان، الأردن.
- ايرك فروم، الانسان من اجل ذاته (بحث في سيكولوجية الأخلاق)، تر: محمود منقذ الهاشمي، ط1، 2007، بيروت لبنان.
- برتراند رسل، في التربية، بر: سمير عبده، منشورات دار مكتبة الحياة، دط، دس، بيروت، لبنان.
- حمدان محمد زياد، كيف تربي طفلا. سلسلة المكتبة التربوية السريعة، (الرسالة 54)، دار التربية الحديثة، عمان، الأردن، دط، 1986.
- خليل عبد الرحمن المعايضة، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر والنشر والتوزيع، ط01، 2007، عمان، الأردن.
- رشوان حسين عبد الحميد أحمد، الطفل (دراسة في علم الاجتماع النفسي)، المكتب الجامعي الحديث، دط، 1992، الاسكندرية، مصر.
- زياد كامل اللالا وآخرون، أساسيات التربية الخاصة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط01، 2007، عمان، الاردن.
- عبد الستار ابراهيم وآخرون، العلاج السلوكي للطفل، مجلة عالم المعرفة، العدد 180، 1978، الكويت.
- عفيفي عبد الخالق محمد، الاسرة والطفولة (النظرية والتطبيق)، مكتبة عين شمس، دط، 1993، القاهرة، مصر.
- محمد البستاني، الاسلام وعلم الاجتماع (موسوعة الفكر الاسلامي)، مجمع البحوث الاسلامية للدراسات والنشر، ط01، 1994، بيروت، لبنان.
- مصطفى نوري القمش وآخرون، سيكولوجية الاطفال ذوي الاحتياجات الخاصة (مقدمة في التربية الخاصة)، دار الميسرة، ط01، 2007، عمان، الأردن.
- منيرة آل سعود بنت عبد الرحمن بن عبد الله، إيذاء الأطفال (أنواعه وأسبابه وخصائص المتعرضين له)، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، ط01، 2005، الرياض، السعودية.
- هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، المرجع السابق، ص 56.
- هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، دار المتحدة للنشر، ط03، 1984، بيروت، لبنان.

Barker, Robert : The Social Work Dictionary – 4td, Edition – Washington, Dc: NASW Press-National Association of Social Workres, 1999 ,.

- ابراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي، مكتبة الرائد العلمية، دط، دت، عمان، الأردن.
- حمد حلوب الفرحان، الخطاب الفلسفي التربوي الغربي، الشركة العالمية للكتاب، ط1، بيروت، 1999.

- رمضاني حسين، فلسفة التربية ونقد قيم الثقافة العالمية (المشاكل والتحديات)، مجلة أنتروبولوجيا الأديان، ج10، جوان 2011، تلمسان، الجزائر.

- مدور يمينة وآخرون، التربية الوجدانية في المرحلة الابتدائية، مجلة دراسات في علوم الانسان والمجتمع، مج 03، عدد 04، ديسمبر 2019، جامعة جيجل، الجزائر. (http://www.univ-jijel.dz/revue) تاريخ الاطلاع: 2020/10/02 على الساعة 34: 00 تيارت، الجزائر

- مراكب مفيدة، الكشف المبكر عن صعوبات التعلم المدرسي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، مذكرة ماجستير في علم النفس المدرسي، قسم علم النفس، جامعة باجي مختار، السنة 2010/2009، عنابة، الجزائر.

- مصطفى نوري القمش وآخرون، سيكولوجية الاطفال ذوي الاحتياجات الخاصة (مقدمة في التربية الخاصة)، دار الميسرة، ط01، 2007، عمان، الأردن.